الإسلام وجزاءات أخروية

ورد فى نصوص شرعية : آى القرآن الكريم ، وما صحت نسبته إلى سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - من أخبار متواترة أو مشهورة لأنها مما تثبت بها العقائد - ذكر أوصاف لجزاءات أخروية من جنة وجنات ونار ، وينبغى فهم أمور فى إطارها الصحيح دون مزايدة ولا تغول ، ومما له علاقة وصلة الآتى بيانه :

أولاً : اختصاص الله - ﷻ - وحده ، وليس غيره بالحكم والإنفاذ الجزاء الأخروى ، بمشيئته وإرادته قال الله - ﷻ - ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(1) .

وجه الدلالة : الله - سبحانه وتعالى - الخالق والمدبر للعالم على حسب إرادته وحكمته لا شريك له فى ذلك .

قال الله - ﷻ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(2) .

وجه الدلالة : بيان لما سيكون عليه حالهم جميعاً يوم القيامة ، من حكم عادل سيحكم الله - تعالى - به عليهم(3) .

ثانياً : إقرار التنوع الدينى السماوى وما يترتب عليه من جزاء أخروى إلهى ربانى :

قال الله - ﷻ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

(1) الآية 54 من سورة الأعراف .
(2) الآية 17 من سورة الحج .
(3) حاشية الجمل على الجلايين 2/ 158 - بتصرف - .

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (1) .

وجه الدلالة : الآية الكريمة تبين أن أساس النجاة يوم القيامة هو الإيمان بالله واليوم الآخر وما يستتبع ذلك من أفعال طيبة وأعمال صالحة ولا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة بل هم فى مأمن منها ، ولاهم يحزنون على ما مضى من أعمارهم لأنهم انفقوها فى العمل الصالح ، وهى مسوقة للترغيب فى الإيمان والعمل الصالح (2) .

وقال الله – ﷻ – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (3) .

وجه الدلالة : إن هؤلاء الذين آمنوا عن تصديق وإذعان ، وقدموا العمل الصالح الذى ينفعهم يوم لقائه ، هؤلاء لهم أجرهم العظيم عند ربهم ، ولا يفزعون من هول القيامة كما يفزع الكافرون ، ولا يفوتهم نعيم فيحزنون عليه كما يحزن المقصرون (4) .

قال الله – ﷻ – ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (5) .

وجه الدلالة : لكل أمة من الأمم الحاضرة والماضية وضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بها ، ولو شاء الله – تعالى – أن يجعل الأمم جميعا أمة واحدة تدين بدين

(1) الآية 69 من سورة المائدة .
(2) التفسير الوسيط – للإمام الراحل أ.د / محمد سيد طنطاوى – سورة المائدة 4/ 300 .
(3) الآية 62 من سورة البقرة
(4) التفسير الوسيط – مرجع سابق – سورة البقرة 1/ 202 .
(5) الآية 48 من سورة المائدة .

واحد وشريعة واحدة لفعل ، ولكنه – سبحانه – لم يشأ ذلك ، وإنما شاء أن يجعلكم أمماً متعددة ليختبركم فيما آتاكم من شرائع مختلفة فى بعض فروعها ، ولكنها متحدة فى جوهرها وأصولها ، فيجازى من أطاعه بما يستحقه من ثواب ، ويجازى من خالف أمره بما يستحقه من عذاب (1) .

ثالثاً : النعى على احتكار الجزاء الأخروى لطائفة دون طائفة :

قال الله – ﷻ – ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (2) .

وجه الدلالة : بطلان إدعاء الزاعمين أن الجنة لهم خالصة من دون الناس ، ولا دليل على ذلك من كتبهم على صحة دعواهم وهى خالية مما يدل صحتها (3) .

وأبطل القرآن الكريم مدعاهم بطريق آخر : إيراد قاعدة الكلية رتبت دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح بلا محاباة لأمة أو جنس أو لطائفة فقال الله – ﷻ – ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (4) ، قال الله – ﷻ – ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (5) .

وجه الدلالة : كل نفس يوم القيامة ستسأل عن أعمالها دون أعمال غيرها ،

---

(1) تفسير ابن كثير 2/ 67 ، والألوسى 2/ 67 – بتصرف – .

(2) الآية 111 من سورة البقرة .

(3) تفسير الكشاف 1/ 330 ، تفسير ابن جرير 1/ 491 .

(4) الآية 112 من سورة البقرة (تلى الآية 111 التى نحن بصددها) .

(5) لمزيد من التوسع : التفسير الوسيط – مرجع سابق – 1/ 320 ، ومجلة اللواء الإسلامى السنة الثالثة العدد الخامس ص7 ، تفسير الآية الكريمة للأستاذ الشيخ محمد الخضرى حسين – رحمه الله تعالى – .

(6) الآية 141 من سورة البقرة .

كما وضح – سبحانه – كل امرئ بما كسب رهين .

رابعاً : مناط المؤاخذة الأخروية التكليف الشرعى :

هو طلب الشارع ما فيه كلفة من فعل أو ترك ، وهذا الطلب من الشارع بطريق الحكم ، وهو الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير (1) .

وتحدث العلماء عن ما يشترط له التكليف من : العقل ، البلوغ ، بلوغ الدعوة النبوية .

وعليه فلا تكليف على غير العاقل ولا الصغير ولا على من لا تبلغه الدعوة النبوية على وجهها الصحيح .

ومن ثم اتفق العلماء على عدم مؤاخذة أهل الفترة – وهم من عاشوا بين عهدين لرسولين من رسل الله – عليهم السلام – ، ومن فى حكمهم كمن نشأ فى شاهق جبل أو جزيرة منعزلة أو فى غابات وأدغال ، ومن كان بمعزل عن العلماء .

قال الله – ﷻ – ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (2) .

وجه الدلالة : أن الله – تعالى – اقتضت حكمته وعدالته ، أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه عن طريق إرسال الرسل عليهم السلام (3) .

ولمزيد من إيضاح : معرفة الله – ﷻ – بالشرع لا بمجرد العقل ، أو بالعقل وحده .

---

(1) كشف الأسرار 4/ 237 .

(2) الآية 15 من سورة الإسراء .

(3) تفسير ابن كثير 5/ 5 ، تفسير الألوسى 1/ 37 ، تفسير أضواء البيان للشنقيطى 3/ 429 ، التفسير الوسيط – مرجع سابق – 8/ 56 .

إن بلوغ الدعوة النبوية فى عهد النبى أو الرسول – عليه السلام – منه مباشرة أو من يرسله أو يرسلهم فى حياته – عليه السلام – أو بعد موته فمن كانت رسالته عامة كالنبى الرسول محمد – ﷺ – فهذا على عاتق علماء دعوته ، قال الله – ﷻ – ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(1) ، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(2) .

تأسيساً على ما ذكر

الجزاء الأخروى لله – ﷻ – وحده ، وإخباره بوعيد وتهديد عن أى أحد لا يستلزم تحقيق وعيده ، فالقاعدة عند علماء العقيدة : أن الكريم إذا وعد حقق وعده ، وإذا أوعد أخلف وعيده

والحكم الفيصل يوم القيامة ، وليس لأحد مهما كان أن يصدر حكماً ضد آخر بثواب أو عقاب ، أو بجنة أو نار ، فله – جل شأنه – الأمر والخلق .

إن النجاة فى الدنيا بقدر الله – تعالى – ومشيئته ، وليس لطائفة دون طائفة ، ولا يحتكر أحد نجاة أو ربحا أو خسرانا ، فمرد ذلك إلى الله وحده ، ولم يفوض – سبحانه – أحداً للوكالة عنه فى اختصاصه بمصير خلقه ، ولا الوصاية من دونه بمنح أو منع ، والأولى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾(3) .

وما يعارض ما ذكر من محكم القرآن الكريم من منسوخ قرآنى ، أو أخبار آحاد ، أو رؤى اجتهادية بشرية تطرح كلها ويعمل بالنص الإلهى القرآنى المحكم.

(1) الآية 108 من سورة يوسف .
(2) الآية 125 من سورة النحل .
(3) الآية 14 من سورة القيامة .